



الحوار "بين الأديان" ومشروعيته في الإسلام

د. سعيد إسماعيل صيني





المقدمة:

لقد أصبح الحوار عبر الحضارات تقليعة اشتغل بها الأفراد والمنظمات والدول. ولا أظن أن هناك أحداً لا يعرف شيئاً عن الحوار أو لم يستعمله في حياته أو ينكر استعماله.

بيد أن البعض ينكر أشكالاً محددة منه، مثل: علم الجدل اليوناني^(١) وعلم الكلام في المسائل العقدية^(٢) والمناظرات الفقهية^(٣) والحوار بين الأديان أو أصحاب الأديان^(٤) مستندين إلى فهم معين لهذه الأشكال.

ومن جهة أخرى، فإن أحمد بن عبد الرحمن الصويان يدلل على مشروعية الحوار ببعض النماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة^(٥).

وبعد أن يورد يحيى زمزمي أقوال العلماء في علم الجدل والمناظرة الذي يتأرجح بين الإباحة والكراهية يخلص إلى القول بأنه "على أهل الإسلام من العلماء والدعاة وطلبة العلم من أهل السنة والجماعة أن يعنوا بمثل هذا الموضوع..."^(٦) ويضيف أيضاً بأن "حكم الجدل والحوار والمناظرة، يرجع إلى القصد منه والغرض من استعماله. فإن كان بالحق وللوصول إلى الهدى والصواب

(١) محمد حسني الزين ص ٣٦-٣٩؛ حسن عزوزي ص ٧٣-٨١ يجمع بعض الأقوال في الموضوع.

(٢) العبدلة و عبد الحلیم ص ٤٠-٤٥ ، وينظر ابن تيمية

(٣) حجة الإسلام الغزالي , إحياء علوم الدين ج ١ : ٤١-٤٨ .

(٤) مؤتمر الرابطة مجلة التوعية الإسلامية في حديثها عن الدعوة إلى وحدة الأديان ص ٢١٢-٢٢٢ .

(٥) الصويان ص ١٨-٢٧ .

(٦) يحيى زمزمي ص ٤٠ وانظر ص ٣٢-٤٧ .



ولكشف الباطل ودحض الشبهات فهو مباح جائز، وربما كان واجباً إن كانت الحاجة ملحة...^(١) بيد أنه يعود فيحذر من "الحوار بين الأديان" و"مشروعات السلام"... فهي "مؤامرات هزيلة" وأن جوهر هذه الدعوات "هو أن يحصل بعض أصحاب الأديان على "الاعتراف من المسلمين بصحة دينهم"^(٢).

ويصنف إبراهيم الحوار بين الإسلام والدين المسيحي في ثلاثة أنواع: حوار تنصيري، وحوار تعارف، وحوار تقارب تتخلله مظاهر تلفيقية، مثل الاتفاق على شهادة من سبع نقاط مأخوذة من المسيحية والإسلام، أو حضور المؤتمرين صلاتين إحداهما في الكنيسة والأخرى في المسجد أو بترديد دعاء ملفق من القرآن الكريم والزبور...^(٣) ويرى القاضي بأن الحوار مع أتباع الأديان الأخرى يجوز فقط في القضايا التي لا تتعلق بالدين مثل التعايش.^(٤)

ويشترط للاشتراك في ندوات الحوار بين الأديان أن تستغل للدعوة إلى الإسلام، وأن لا يرتبط موعد الندوة أو المؤتمر بمناسبة دينية غير إسلامية، وأن لا يشترك المسلم في طقوس دينية جماعية مثل الدعاء من أجل السلام العالمي برئاسة البابا مثلاً^(٥).

ويقول صيني بأن الحوار بصفته وسيلة للاتصال والتعامل فإن الإسلام يرى أنه سنة من السنن الكونية التي لا تكون الحياة البشرية بدونها ولا تنتعش

(١) يحيى زمزمي ص ٧١، وانظر الصفحات ٦٠-٧٠.

(٢) زمزمي ص ٥١٥؛ ويشير إلى أنه استفاد هذا القول من العلياني ص ٤٤٩.

(٣) إبراهيم، الحوار الإسلامي المسيحي. ومثال للأبحاث التلفيقية التي تقدم في مثل بعض المؤتمرات المبكرة ورقة خضر التي تتحدث بروح المسيحية الغامضة وتستشهد بالآيات القرآنية.

(٤) القاضي ص ١٤-١٦.

(٥) القاضي ص ٩٠-٩١.



إلا بها. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)^(١) والتعارف يتطلب الحوار بأشكاله المختلفة. فالمخلوق الحي لا يمكنه أن يتجنب الحوار التلقائي المدمج في المعاملات التي تجري في الحياة اليومية بين أصحاب الديانات والحضارات المختلفة، والتي يستخدم فيها الأطراف المشتركة فيه وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية، عن قصد أو بطريقة عفوية. بيد أنه لا يجوز للمسلم التنازل عن شيء من عقيدته ومبادئه الإسلامية باسم المشاركة في الحوار بين الشعوب أو الأديان...

وبهذا نلاحظ أن هناك اتجاهين: اتجاه يميل إلى الإنكار على بعض أشكال الحوار، واتجاه يرى ضرورته عموماً. وهذه الحقيقة تطرح عدداً من التساؤلات، منها:

١- ما المقصود بالحوار؟

٢- ما المقصود بالحوار بين الأديان؟

٣- ما موقف الإسلام من الحوار بعامة؟

٤- ما موقف الإسلام من "الحوار بين الأديان"؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سيتم استقراء نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة ومعاجم اللغة للتعرف على مدلول كلمة "الحوار" وصفاته وأنواعه إذا كان هناك أكثر من نوع. ثم يتم استنتاج حكمه في القرآن الكريم والسنة النبوية الموثقة مع الاستشهاد بفعل الصحابة وأقوال العلماء. وعموماً

(١) صيني، الحوار بين الحضارات، دمشق؛ تأصيل الحوار وانظر



فإن الدراسة تستند بدرجة كبيرة على كتاب " الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين " ومشاركات الباحث في بعض ندوات ومؤتمرات الحوار عبر الأديان. وسوف تتم الإجابة على هذه التساؤلات في ظل العناوين الرئيسية التالية: المقصود بالحوار، المقصود بالحوار بين الأديان، موقف الإسلام من الحوار عموماً، موقفه من الحوار بين الأديان، توفير البيئة المناسبة لنجاح الحوار.

المقصود بالحوار:

لقد وردت في القرآن الكريم إشارات عديدة إلى أشكال من الحوار. فهناك الحوار بين الله تعالى وملائكته قبل خلق آدم عليه السلام^(١) وبينه سبحانه وتعالى وبين إبليس بعد خلق آدم^(٢). وعندما نستقريء مدلول كلمة " الحوار " واستعمالاته في نصوص الكتاب والسنة ونعود إلى معاجم اللغة نجد أن الحوار بمعناه الواسع يعني المراجعة والتفاعل بين طرفين أو أكثر تتبادل فيه الأطراف المتحاورة المشاعر والاحتياجات والآراء والأفكار والمعتقدات^(٣).

ويُفترض في الحوار بين المخلوقات وجود نوع من التكافؤ بين الطرفين من زاوية واحدة على الأقل. وهذه الزاوية هي وجود احتمال لأن يؤثر كل طرف على الآخر أو أن يتأثر به. فيندرج في الحوار أن يقول شخص شيئاً أو يفعل شيئاً ما فيقول الآخر شيئاً أو يفعل شيئاً كرد فعل له مع وجود احتمال لأن يؤثر رد الفعل هذا على الطرف الأول... وهذا صحيح حتى بالنسبة للحوار مع النفس والحوارات الافتراضية. ولا يندرج في الحوار طرفان أحدهما يقول

(١) سورة البقرة: ٣٠-٣٣ .

(٢) سورة ص: ٧٥-٨٥ .

(٣) ابن منظور، أنيس وآخرون.



شيئاً فيرده الآخر كما هو، أو يفعل أحد الأشخاص شيئاً فيقلده الآخر. ولا يندرج فيه أن يصدر طرف أمراً ثم ينفذه الآخر بدون نقاش. ويندرج تحت كلمة "الحوار": المناقشة، المحادثة، المباحثة، المفاوضة، المحاجة، المجادلة، المراء، المناظرة، المباهلة...^(١) وهي في الحقيقة أنواع من الحوار، لكل منها بعض الصفات المميزة. فالمناقشة لا تحتاج دائماً إلى طرف آخر. والمفاوضة تخدم الوصول إلى حلول وسط قد ترجح فيها كفة الأقوى، أي الطرف الذي يحتاج إليه الآخر أكثر، أو الأكثر مهارة في المفاوضة. وأما المحادثة فتتسم بالتلقائية وقد تكون للترفيه. أما المحاجة، والمجادلة، والمراء، والمناظرة، والمباهلة فيجمع بينها سيطرة روح التحدي فيها بين الأطراف المتحاورين. وهي تتفاوت من حيث الشدة، ولعل أشدها المباهلة التي تعني أن يدعو الطرفان على أن لعنة الله على الكاذب منهما^(٢). ومن زاوية أخرى، فإن الحديث عن "الحوار" ينبغي أن لا يغفل عدداً من العناصر.

العناصر الرئيسية للحوار:

يتكون "الحوار" من عناصر رئيسية، وهي عموماً تتمثل في التالي:

- ١- المتحاورون.
- ٢- أهداف الحوار.
- ٣- مضمون الحوار.
- ٤- الحوار وسيلة اتصال.

(١) صيني، الحوار النبوي ص ٧٣-٧٥، صيني، الإسلام والحوار بين الحضارات.

(٢) صيني، الحوار النبوي ص ٥٩-٧٥.



٥- طريقة الحوار.

٦- الحوار علم وفن.

المتحاورون:

عندما نتحدث عن المتحاورين من البشر فالمقصود البشر جميعاً. قد يتشابهون في صفات كثيرة وقد يختلفون في أمور كثيرة ذات علاقة بالحوار، وذلك بسبب اختلاف ثقافتهم وحضارتهم والجماعات التي ينتمون إليها. وهذه الانتماءات قد تكون ذات حدود معلومة واضحة (دينية، سياسية) أو حدود غامضة فكرية (محافظ، متحرر) أو انتماءات رأسية، وراثية (عشيرة، قبيلة) أو أفقية (الجمعيات، المؤسسات). ومن المتحاورين من هم أكفأ في موضوع المحاور، وفي فن المحاور ومنها آدابها، ومنهم من تنقصه الكفاية في أحد الجانبين أو في كليهما.

ومن الخطأ اختيار المتحاورين في الحوارات الرسمية في ضوء الكفاءات الوراثية أو المكتسبة التي لا علاقة لها بالكفاية في الموضوع أو المهارة الحوارية.

أهداف الحوار:

قد تتفق أهداف المتحاورين بنسبة معينة، مثل حل خلاف وإيجاد تفاهم حول قضية مختلف فيها، ولكن يغلب على المحاورات باختلاف أنواعها أنها تتعدد وتختلف من طرف إلى آخر. فهناك من يدخل في حوار بغرض التسلية وآخر بغرض تنمية المعرفة؛ وهناك من يريد تحقيق مصالح خاصة به أو بالجماعة التي يحاور بسمها وقد تضر بمصلحة الطرف الآخر؛ وهناك من يريد النصر لمن يتحزب له أو للرأي أو العقيدة التي يتحيز لها...



وقد يكون هدف الحوار هو محاولة طرف إقناع الطرف الآخر بما يعتقده أو يراه، وقد يكون الحوار خصومة حول شيء. وقد يكون الهدف من طرف هو الشكوى والتظلم وهدف الطرف الآخر توضيح الحقيقة أو التهدة؛ وقد يكون الهدف إنجاز شيء أو تطوير فكرة...

وقد يكون الحوار بدون هدف محدد، أي حوار عملي تلقائي ومدمج في التعامل اليومي في أمور الدنيا بين أصحاب الأديان والحضارات المختلفة، مثل الاتصال التبادلي الذي يحدث أثناء إنجاز عمل لأحد الطرفين أو لصالح الطرفين أو لطرف ثالث. ويندرج فيه جميع أنواع السلوك أثناء التعامل الروتيني اليومي بين الجيران والزملاء في الفصل الدراسي أو المصنع أو المتجر أو المكتب أو حتى في اللقاء العابري في الشارع وفي الفندق والمطعم وفي الحافلة. فنحن - عمليا - نتحاور أثناء تبادل التحيات وأثناء البيع والشراء وأثناء أداء أي عمل جماعي، تختلف فيه وظيفة كل فرد عن الآخر. وبهذا يتضح أن طرق التعبير في الحوار تتعدد لتشمل جميع وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية، ومنها السلوك الطبيعي وجميع وسائل التعبير الفنية.

وهذا النوع التلقائي أكثر فعالية من كثير من المحاورات اللفظية المرتبة مسبقا بين قادة الفكر لتنمية الاحترام المتبادل والعيش بسلام والتعاون بين أتباع الأديان المختلفة. فهي محاورات عفوية عملية، تركز على الفطرة البشرية وعلى المصالح المشتركة، وتجري في الواقع وليس فقط في الأذهان أو على صفحات الورق في شكل قرارات وتوصيات.

والحقيقة، لولا تدخل بعض القيادات التي تستغل الاختلاف لتحقيق



المصالح الشخصية، مثل كسب الشعبية أو كسب مصالح مالية... لعاش الناس مع اختلاف أديانهم في سلام ووثام في الغالب. ومن المؤكد أن الإسلام يحث على الحوار الذي يهدف إلى الإصلاح بين الناس وتأليف القلوب وخلق روح التعاون في سبل الخير.

مضمون الحوار:

تتنوع موضوعات الحوار بحيث يشمل كل ما يخطر في الذهن بالنسبة للحوار الفردي أو الجماعي التلقائي. أما موضوعات الحوار الرسمي المرتب له فتكون في العادة محددة ومختارة في ضوء أهميتها. وتتفاعل هذه الموضوعات مع طبيعة الأهداف المرسومة مسبقا، بحيث يصعب الفصل بينهما. فقد تكون في مجال السياسة أو الاقتصاد أو التعليم أو أمور الدين الإجرائية والتنظيمية...

الحوار وسيلة اتصال:

إن أول شيء يخطر في أذهاننا من حيث الشكل والمظهر هو الحوار اللفظي المرتب له مسبقا. ولكن هل الحوار -فعلا- يقتصر على هذا النوع؟ إذا تأملنا في الحياة من حولنا فإنه يمكننا جعل الحوار من حيث الشكل في ثلاثة أقسام رئيسة هي:

- ١ - الحوار اللفظي التلقائي بين الناس عموما.
- ٢ - الحوار اللفظي المرتب له مسبقا. والترتيب قد يأتي من طرف واحد أو بالاتفاق بين بعض المشاركين أو جميعهم.
- ٣ - الحوار السلوكي بوسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية المدمج في التعامل اليومي بين الناس عموما من أصحاب الديانات المختلفة.



الحوار فن وعلم:

إن أصل الحوار سلوك فطري، قد يمهّر فيه البعض لامتلاكهم موهبة فطرية فيه، أو لقيامهم بتدريبات مضمّنية في الغالب. فأصله الممارسة التلقائية ثم وُضعت له بعض القواعد (العلم) المستنتجة من الممارسات الجيدة.

ويعرف حاجي خليفة "الجدل" بقوله: "علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض" (١) ويسميه العميرين في بعض المواضع من مؤلفه "فن الجدل" (٢) وكان اليونانيون أول من اعتنوا به، وظهر باسم الجدل بصفته فرعاً من المنطق اليوناني وأداة من أدوات التفكير العقلاني، ليسهم في تنمية الفلسفة اليونانية وتنقيحها (٣).

وأما علم الكلام الذي يعنى بمسائل العقيدة فقد أنشأه بعض المسلمين في محاولة لرد شبهات أعداء الإسلام بأساليبهم المنطقية نفسها، مستفيدين بما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من الأدلة العقلية، ومستفيدين أيضاً مما وصل إليهم من التراث اليوناني أو المسيحي (علم اللاهوت) المتأثر بالمنهج العقلي اليوناني. غير أن هذا التوجه غالى في اعتماده على العقل حتى جعله أحياناً حكماً على النقل الموثق فأنحرفوا عن الصراط المستقيم (٤).

ثم جاء علم الجدل الفقهي أو المناظرة الفقهية. ويقول عنه ابن عقيل: إن

(١) خليفة، كشف الظنون ٢: ٥٧٩، ٧٢١، نقلاً عن العميريني ص ٤٣ .

(٢) العميرين ص ١٤ .

(٣) Britannica, dialectics Encyclopedia، ابن خلدون، المقدمة ص ٤٧٥-٤٧٦ .

(٤) انظر مثلاً: ابن خلدون، المقدمة ص ٤٢٩؛ صبحي ص ١٥؛ حيا الله ص ٣٨؛ النشار، نشأة الفكر ص ٥٤؛ عبد الحميد ص ١٠٣-١٠٩؛ حيا الله ص ٤١؛ صيني، الحوار النبوي ص ٨٠-٩٧ .



النظر أو الجدل هو عبارة عن قتل الخصم عن مذهبه إلى مذهب آخر، ودفعه إليه عن طريق الحجة والاستدلال. وهذه الحجة قد تكون صحيحة وظاهرة، وقد تكون شبهة، وقد لا يعدو الأمر أن يكون شغبا، لهذا نشأ علم الجدل ولا بد له من شروط وآداب تحقق المقصود من المجادلة والمناظرة^(١). وهو يتكون من مجموعة من التعريفات للمصطلحات الرئيسة والقواعد التي تخدم عملية التمهيد في إطار الأدلة النقلية. ولم ينشأ هذا العلم إلا بعد أن تُرجمت الثقافات والعلوم اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية وبعد قرون من نشأة علم الكلام وعلم أصول الفقه^(٢).

المقصود بـ "الحوار بين الأديان":

إن عبارة "الحوار بين الأديان" أصبحت تتردد كثيرا في العقد الحالي وتقام لها الندوات والمؤتمرات. فتخيل البعض أنه حوار تفاوض حول التعاليم الدينية بين أتباع الديانات المشاركة فاتخذوا منه موقف الرفض. وقام البعض بتلطيف العبارة فأطلقوا عليه "الحوار بين أصحاب الأديان" أو "أتباع الأديان" ويتحمسون له.

والصواب يختلف عن هذا وذاك قليلا، وذلك لأن الحوار بين أصحاب الأديان كان موجودا منذ كانت هناك ديانات مختلفة وبشر من أتباع الديانات المختلفة يلتقون في مكان محدد. ومن أنواع الحوار حتى الرسمية: المحاورات السياسية، والعسكرية والاقتصادية، والتقنية والتعليمية... بل كان هناك حوار

(١) العميرين ص ٤٠-٤١، ٢٤٣.

(٢) الألمعي، مناهج ص ٣١؛ حسن ص ٥١-٥٧؛ العميرين ص ٦٣-٧٧.



في كافة مجالات الأنشطة البشرية، سواء أكان حوارا بين الأفراد غير رسمي أم حوارا رسميا. فما الجديد في "الحوار بين الأديان"؟

إن الجديد فيه أنه حوار يدور بين رجال الدين أو الدعوة من أصحاب الديانات المختلفة (ممثلي الأديان المختلفة) وليس بين سياسيين أو اقتصاديين، أو مهنيين... وحتى في حالة تمثيل السياسيين في مثل هذه الحوارات فإنهم يمثلون ديانتهم في الغالب. فالجديد ليس أنه حوار خاص بالدين، وليس أن المشاركين من أصحاب ديانات مختلفة.

ومن المعلوم أن لمثلي الديانات أهمية كبيرة لأنهم لا يمثلون دولا محددة، ولكن أديانا تنتشر في دول عديدة، ولأنهم قادة روجيين وفكر ومنهج حياة، مهمتهم الأساسية هي الإرشاد والدعوة إلى مبادئ مقدسة تؤثر في حياة الناس بدرجات متفاوتة بحسب نوع الديانة. ويتدرج هذا الأثر بين تكييف معتقدات الأتباع أو حياتهم كلها كما هو الحال في الإسلام.

وبالنسبة للتصور الأول، أي التفاوض حول التعاليم الدينية فإن من شاركوا في هذه الندوات والمؤتمرات يستبعدونه تماما. ويرون أنه حوار يأخذ أشكالا مختلفة وينطوي على أهداف متعددة بالنسبة لكل طرف يشارك فيه. ويقول إبراهيم^(١) بأن المناظرات بين أصحاب الأديان كانت موجودة في صورتها الفردية منذ زمن طويل فإن عام ١٩٦٤ ميلادية يشكل نقطة بداية للحوارات الجماعية عبر الأديان. ففي هذا العام أصدر المجمع الفاتيكاني

(١) إبراهيم، الحوار الإسلامي المسيحي: رؤية إسلامية. وهو تقرير يسجل ما حصل في مؤتمرات عديدة، شارك فيها الدكتور عز الدين إبراهيم بنفسه وحضرها منذ ظهورها بصورة رسمية.



الثاني بيانا يذكر فيه الإسلام بخير لأنه يدعو إلى التوحيد وإلى الأخلاق العالية. كما يدعو البيان إلى فتح صفحة جديدة مع الإسلام يسودها التعاون وتصحيح الأفكار المغلوطة عن الديانتين والتعاون بين أتباع الديانتين في المجالات الفكرية والسلوكية والاجتماعية والسياسية. وبما أن من يصرف على هذه الندوات والمؤتمرات ويتبناها لابد أن يترك بصماته عليها أخذت هذه المؤتمرات الصور التالية: (١)

١- كانت هناك بصمات تنصيرية، ليس بمعنى تنصير المشاركين ولكن تعزيز مواقعهم في البلاد الإسلامية، مثل: محاولة الحصول على الاعتراف الرسمي بوجودهم في البلاد الإسلامية التي لم يكن لهم فيها وجود، والحصول على فرصة الدعوة فيها، ولا تزال هذه المحاولات تظهر من وقت لآخر. وفي المقابل فإن بعض المشاركين من المسلمين يتتهزونها فرصة للتعريف بالإسلام والدفاع عنه بتوزيع بعض المطبوعات المناسبة التي لا تدعوا إلى الإسلام بطريقة مباشرة ولا تهاجم الطرف الآخر. وهي حالة نادرة يجب تكثيفها انتهازا لفرصة الالتقاء بقيادة الدين في الديانات الأخرى.

٢- تطورت هذه المؤتمرات الثنائية (المسيحية الإسلامية) لتعزيز فكرة تبادل المتحاورين المعلومات والأفكار والحقائق في جو يسوده الاحترام المتبادل، وذلك للتخفيف من حدة العداء وتصحيح المعلومات المشوهة عن الأطراف المعنية.

٣- وتخلل بعض هذه المؤتمرات قليل من الجهود التليفقية مثل محاولة

(١) إبراهيم، الحوار الإسلامي المسيحي، صيني، وله بعض المشاركات الحديثة على المستوى الرسمي.



تبني "شهادة" من سبع نقاط مأخوذة من الإسلام والمسيحية بدل الاختصار على الشهادتين الإسلامية، أو بدء الاجتماع بدعاء من القرآن ومزامير داود. وعلى وجه العموم كان الطرف الإسلامي يرفضها. ومن المحاولات التلفيقية اقتراح حضور المشاركين صلاتين إحداهما في المسجد وأخرى في الكنيسة. وأحياناً هذا لا يعني بالضرورة المشاركة في الصلاة ولكن مجرد حضور مشاهدة. وفي الغالب كانت هذه المقترحات عن حسن نية، وذلك للمرونة الكبيرة التي تتمتع بها مسيحية اليوم في المعتقدات والعبادات والمعاملات بسبب ذوبانها في الفكر العلماني.

والملاحظ في السنوات الأخيرة أنه يغلب على هذه الندوات أو المؤتمرات أنها جهود لإيجاد التعاون للعيش بسلام في بيئة جغرافية واحدة أو على مستوى العالم بالتعاون في المجالات الاجتماعية، والتنمية، وفي الدفاع عن حقوق المظلومين. وبدأ هذا التوجه يبرز بشكل واضح، سواء أكان الممول أم المنظم للندوة جهات مسيحية أم إسلامية أم مشتركة.

ولعل من نتائج هذه المؤتمرات ما شهدناه مؤخراً من تعاطف الفاتيكان وعدد من الأساقفة ومنهم أسقف كانتربيري مع المسلمين في الإنكار على سخرية المؤسسة الصحفية الداعمية على شخصية الرسول ﷺ (١) إضافة إلى ذلك لا يمكن إنكار جهود الفاتيكان في الحصول على تراخيص لفتح مزيد من الكنائس، ولا سيما في البلاد التي لا توجد فيها كنائس رسمية وفرصة الدعوة العلنية غير متوفرة.

(١) جريدة الوطن ص ٢٠ .



- إضافة إلى هذه الصفات التي اتسمت بها ندوات الحوار بين ممثلي المسيحية والمسلمين فإنه يمكن تصنيف الحوار بين ممثلي الأديان المختلفة على المستويين الفردي والجماعي، العفوي (التلقائي) أو المنظم إلى الأصناف التالية:
- ١- حوار للتقريب بين ديانتين أو أكثر للبحث عن أشياء مشتركة، أو لإيجاد أشياء مشتركة (مثل دعاء مشترك مزيج من الكتب المقدسة عند الأطراف المتحاوره، جهد دعوي مشترك فيه دعوة إلى الأديان المشاركة معا) ومحاولة أحد الأطراف الحصول على اعتراف من الطرف الآخر بصحة ديانتته.
 - ٢- حوار يحاول فيه أحد الأطراف أو كلاهما إقناع الآخر بما يعتقد أنه الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى السعادة في الحياة الأبدية خاصة.
 - ٣- حوار يحاول فيه كل طرف من الأطراف إثبات أن دينه هو الحق ودين الآخر باطل، أي مناظرة.
 - ٤- حوار حول المعتقدات الدينية والتشريعات، ليس للتفريق بينها أو الدعوة إليها، ولكن لإزالة الوحشة، ولتنمية الألفة وربما لتبادل المعلومات.
 - ٥- حوار حول شؤون الحياة الدنيا عامة. ويهدف هذا الحوار إلى أن يتعرف كل صاحب دين على ما عند الآخرين مما يتفقون عليه، ليتعاونوا فيه مثل: محاربة الإلحاد والريضة والفساد والظلم والطغيان...^(١) ويهدف إلى التعرف على المختلف فيه، ليتم الاتفاق على مبادئ مناسبة للتعامل معه بطريقة تحقق السلام والرفاهية للجميع. وهذا يساهم بدوره في فتح باب التعاون المثمر للطرفين في مجالات الحياة المتعددة: الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية عموما.

(١) انظر مثلاً: التويجري، الحوار من أجل التعايش ص ٢٠؛ الزقزوق ص ١٤٩٧ .



٦- حوار عملي تلقائي يجري أثناء التعامل اليومي أو الطارئ بين بعض رجال الدين والدعاة من أديان مختلفة، تستعمل فيه وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية.

ويلاحظ أن بعض هذه الأصناف قد تحدث في جو هادئ تسيطر فيه المجاملات والسياسة، وبعضها قد تأخذ أشكالا عنيفة مثل الصنف الثالث.

موقف الإسلام من الحوار بعامة:

من المعلوم أن الإنسان يعيش شبكة معقدة من الانتماءات يقصر عنها الحصر. وبعض أنواع هذه الانتماءات جبرية أو وراثية (صلة الرحم، والقربة، وفئات الأعمار، ودرجات الذكاء الفطري...) وبعضها الآخر اختيارية أو مكتسبة (الانتماءات المهنية، وكثير من الروابط الاجتماعية مثل النوادي والجمعيات، والمؤسسات...) وبعضها يتأرجح بين هذا وذاك (الثروة، والجاه). ويختلف موقف الإسلام من اشتراك المسلم في المحاور باختلاف طبيعة العناصر الرئيسية للحوار. وسيتم استعراض موقفه من الحوار بصفة عامة تحت العناوين التالية: القاعدة الأساسية في تحديد موقف الإسلام من الحوار، موقف الإسلام من العناصر الأساسية للحوار، توفير البيئة المناسبة للحوار الناجح.

القاعدة الأساسية في تحديد الموقف:

إن الحكم الصائب ليس إلا تفاعلا متقنا بين تشخيص الواقع واختيار النص أو النصوص المناسبة لتطبيقها أو الاستنباط منها أو القياس عليها. وكثير من الأحكام تجانب الصواب ليس للقصور في فهم النصوص ولكن للقصور في تشخيص الواقع.

لقد تبين من الحديث عن الحوار وأنواعه أن الإسلام لا ينكر الحوار، وذلك



لأنه ليس إلا وسيلة أو أداة. ومن المعلوم أن الأداة أو الوسيلة شيء محايد يمكن تسخيرها للخير أو للشر. والحوار وسيلة اتصال أو مهارة نافعة مقننة يكتسبها الإنسان، وله إيجابيات كثيرة، ولبعض أنواعه واستعمالاته سلبيات أيضا. وللإسلام مواقف متعددة بحسب تعدد الأصناف. وسيتم الحديث عنها تحت العناوين التالية: الموقف وكفاءة المحاور المسلم، الموقف في ضوء الهدف، الموقف في ضوء المضمون، الحوار وسيلة اتصال، طريقة الحوار، الحوار علم وفن.

الموقف وكفاءة المحاور المسلم:

يختلف الحكم باختلاف طبيعة المحاور الآخر. فالمسلم يجوز له أن يحاور غير المسلم أو الجاهل في أي موضوع يتقنه، سواء أكان يتعلق بالعتيدة أم التشريع الإسلامي بالأساليب العقلية في محاولة لإقناعه بما شرع الله، أم كان الطرف الآخر متحدياً يريد أن يفند مزاعمه ويظهر باطله إذا لزم الأمر. أما بالنسبة للمسلمين فلا يجوز لهم أن يتجادلوا في بعض الموضوعات التي سيتم الحديث عنها لاحقاً. ويمكنهم التناحر حول هذه الموضوعات المحظورة أصلاً لبيان الحكمة من بعض المعتقدات والتشريعات حوار تعليم وتفكر. أما إذا لم تكن لدى المسلم المعرفة بالموضوع أو ليست عنده مهارة الإقناع بالأدلة العقلية والعاطفية فينبغي له أن لا يحاور فيها أحداً إلا عالماً للتعليم. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).

الموقف في ضوء الهدف:

وفي الوقت الذي يذم فيه ابن تيمية علم المنطق اليوناني بما في ذلك الجدل اليوناني فإن له رأياً آخر في الجدل المنضبط بالضوابط الإسلامية. ويعبر عن



رأيه في المهارة في هذا النوع من الجدل واستعمالاته بقوله: "... فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بواجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين." ^(١) ويقول الشنقيطي إن أقل مراتب حكم المناظرة الجواز، إن كانت على الوجه المطلوب. ^(٢) ويعنون الويشي مقالاً له بـ "حوار الحضارات فريضة إسلامية وضرورة بشرية". ^(٣)

وكما هو ملاحظ فإن ابن تيمية يقرر بأن الحوار المسمى بالمناظرة واجب على المسلم القادر لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وهو جزء من مهمة العلماء. ولا يكون العالم قادراً على ذلك إلا إذا كانت لديه ملكة الحوار أو استطاع تنميتها بالتعرف على قواعدها والتدرب عليها.

فمن أهداف الحوار الدعوة إلى الإسلام، والوصول إلى الحق والرأي الراجح، وبيان الباطل وكشف شبهاته. وقد يكون الحوار لتثبيت المؤمنين بدحض الباطل، وللإرشاد والتعليم، ولحسم الخلاف، وللتقريب بين وجهات النظر، وللمساهمة في تأليف القلوب. ^(٤) كما أن الحوار نوع من المشورة بين المسلمين لتحقيق مصالحهم العامة، ويسهم في تنمية المعرفة وتنقيتها ^(٥) ويسهم في إيجاد الحل الوسط الذي يرضي الأطراف المختلفة، وفي التعرف على وجهات نظر الأطراف الأخرى المختلفة. ^(٦) فالحوار وسيلة

(١) ابن تيمية، فتاوى ج ٢٠: ١٦٤-١٦٥.

(٢) الشنقيطي ج ١: ٣٩، ج ٢: ٤.

(٣) الويشي.

(٤) زمزمي ص ٤٢-٤٧؛ يلجن ص ٢٤-٢٥.

(٥) الصويان ص ٦-٧، ٢٨-٤٠؛ اللبودي ص ١٦.

(٦) بن حميد ص ٧.



للتفاهم لا غنى عنه ووسيلة للتعاون والتنسيق بين الجهود المتفرقة والطاقات المبعثرة.^(١) ويقول التويجري بأن الحوار يحقق التعايش السلمي بين الأمم والشعوب ويحقق لهم المصالح المشتركة.^(٢) ولا أعتقد أن أحدا يخالف في ذلك. وكل ما سبق وظائف إيجابية لا يشك مسلم بأن الإسلام يحث على الحوار لتحقيقها.

فالقرآن الكريم يحث على الحوار لفض المنازعات بين الزوجين، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥)

وأما ما ورد من ذم للجدل والمناظرات الفقهية بين المسلمين في بعض العصور خاصة، فذلك لأن الجدل والمناظرة أصبحتا في تلك العصور تقليعة بين بعض العلماء، في بعض مسائل العقدية لا يؤثر الاختلاف فيها على العبادات المشروعة أو المعاملات اليومية الملزمة للمسلم، وفي مسائل فقهية هي في الأصل ليست ذات خطورة. ومن هذه المسائل التي كانت تثير الشقاق والعداوة بين المسلمين صفات الخالق والغيبات التي لم ترد فيها نصوص صريحة.

الموقف في ضوء الموضوعات:

هناك موضوعات لا يجيز الإسلام للمسلم الخوض فيها خوض جدال، وذلك لأن الجدل كما سبق تعريفه يتضمن المعارضة بالضرورة. وتشمل هذه الموضوعات جميع أوامر الله ونواهيه التي جاءت بأدلة قطعية الثبوت

(١) الشيخلي ص ١٥ .

(٢) التويجري، الحوار والتفاعل ص ٨ وانظر الحوار من أجل التعايش السلمي أيضا.



والدلالة، وبصورة جازمة، أي ما يمكن تسميتها بالثوابت.

والثوابت مشتقة من كلمة "ثبت" أي استقر في مكان واحد أو على حالة واحدة، أي صحّ وتحقق.^(١) ويقابلها المتغيرات وهي القابلة للتحريك والتغيير. والثوابت الإسلامية هي قمة الثوابت عند المسلمين، وذلك لأن مصيرهم في الحياة الأبدية يعتمد عليها.

والثوابت من حيث المصدر ما ثبتت نسبته إلى الخالق (مثل القرآن والسنة، والفترة السليمة). والثوابت من حيث الحكم فهي التي يوضحها الرسم التالي:^(٢)

فرض ---- مستحب ---- مباح ---- مكروه ---- حرام

وبعبارة أخرى، فإنه في ظل التصنيف المشهور للأحكام يمكن القول بأن الثوابت تقع في دائرة الفرض والحرام، أي أداء الفروض واجتناب المحرمات. وأما المتغيرات فتقع في دائرة المستحب الذي لا عقوبة منصوصة على تركه، والمباح، والمكروه الذي لا عقوبة منصوصة في فعله. ومن المعلوم أن الدين الإسلامي أو تعاليمه منهج للحياة في الدنيا ووسيلة لتحقيق الفلاح في الحياة الآخرة الأبدية. وتتكون من معتقدات يؤمن بها المسلم، وعبادات يؤديها، وتشريعات يطبقها، ومبادئ أخلاقية عامة يحث الإسلام على التمثل بها.

ومن زاوية أخرى، فإنه ينبغي التفريق بين جزأين من التراث الديني: النصوص المقدسة نفسها (مثلا القرآن والسنة)، وبين فهمنا البشري غير

(١) ابن منظور، لسان العرب؛ أنيس، المعجم الوسيط حرف الثاء.

(٢) صيني، إشكالية التعايش؛ ولدرجات الأحكام انظر مثلاً: ابن الحاجب، أبو زهرة، الخلاف، الزحيلي.



المقدس، وذلك لاختلاف منهج التحقق من مصداقية النوعين. فالأول إذا ثبتت مصداقيته عن طريق رواية ذوي مصداقية عالية فإنه بمنأى عن تقييم العقل البشري المحدود له. وأما الثاني، أي الفهم البشري للنصوص، فهو من إنتاج العقل البشري وتتراوح مصداقيته بين درجة عالية وأخرى منخفضة جدا. وهذا يعني أن هناك منهجين مختلفين نحتكم إليهما لتحديد مصداقية التراث الديني. أحدهما خاص بالنصوص المنسوبة إلى الخالق ويعتمد على درجة مصداقية الرواة لتلك النصوص، والآخر يعتمد كلية على القدرات العقلية المحدودة للبشر، أي نقد المتن.

ومن زاوية ثالثة، فإنه ينبغي التفريق بين النصوص المقدسة التي تحتفظ بأصالتها، والنصوص المقدسة التي تعرضت للتحريف. فالأخيرة معرضة للتقييم بواسطة العقل البشري، مثلها مثل الاجتهادات البشرية في فهم النصوص المحتفظة بأصالتها. وهذا كان منشأ العلمانية في البيئات المسيحية، حيث تصادمت النصوص المحرفة عن الفطرة والعقل السليم. إضافة إلى كثير من الفهم السقيم لتلك النصوص.

ولعل من أبرز الموضوعات التي نهى العلماء عن المجادلة فيها صفات الخالق. فعلى المسلم الحق أن يؤمن بها كما جاءت في القرآن والسنة بدون زيادة ولا نقصان، لا يفسرها أو يؤولها عن معناها الظاهر في سياقها الظاهر الجلي، ولا يشبهها بصفات المخلوقين.^(١)

وهناك موضوعات يكره بعض علماء المسلمين الجدل فيها مثل القضاء

(١) ابن تيمية، نقض المنطق ص ١ - ٢٤؛ وانظر مثلاً: ولد أباه، إيسسكو؛ هاشم؛ في إيسسكو.



والقدر. أما الخوض فيها عن علم مع مراعاة ترجيح النقل في جميع الأحوال فقد أجازها كثير من العلماء، بل وكتبوا فيها، تعليقا على تساؤلات المتشككين أو المعترضين.^(١) وليس عجبا أن يخوض علماء المسلمين فيه، فالمسألة ذات علاقة وثيقة بالتكليف والجزاء والعقاب.

وعموما فإن جميع الموضوعات الدينية والدنيوية قابلة للحوار التعليمي، أي الافتراضي، حيث يسأل أحد المتحاورين ويجيب الآخر من الكتاب أو من السنة أو من استنباطات العلماء منهما أو من هذه المصادر جميعا مع احتمال تأثر المتحاورين بما يرد أثناء الحوار. بل إن موضوع تطبيق بعض التعاليم الدينية قابل للحوار حوار تفاوض بين الأقلية المسلمة التي تعيش بين أغلبية غير مسلمة. ومثال هذه التعاليم الإسلامية ما يندرج في المعاملات وفي الحقوق العامة، كتطبيق الحدود في الدولة التي أغلبتها غير مسلمة.^(٢) فقد يكون ثمن الاعتراف بالإسلام رسميا ومنح المسلمين حق حرية العبادة وإقامة دور العبادة والدعوة إلى دينهم هو السكوت عن تطبيق الحدود بين المسلمين والتسليم للقانون العام للبلاد.

ولا يجوز للمسلم أن يجادل في أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه قطعية الدلالة والثبوت إلا مع غير المسلمين أو المتشككين بهدف إقناع الطرف الآخر، مع التأكيد على أن الحكمة من هذه التشريعات لا يعلمها ولا يحيط بها كلها إلا الله سبحانه وتعالى. أما تحليلات الإنسان وتعليقاته مهما بلغ هذا الإنسان من العلم فإنها مجرد اجتهادات بشرية تقبل الخطأ ولا يمكن الجزم بصحتها.

(١) انظر مثلا: ابن تيمية، ابن القيم، الرازي، إسماعيل، كشف الغيوم عن القضاء والقدر.

(٢) المجمع الفقهي، بيان مكة المكرمة.



ويشترط في هذا الإذن أن يوضح المحاور المسلم أن أدلته العقلية ليست ملزمة للإسلام وإنما هي توضيحات بشرية. فالله أعلم بمن خلق وهو أعلم بما هو أصح لخلقه من التشريعات. والأصل أن لا يخوض المسلم فيها ابتداءً ويجادل فيها من غير ضرورة سواء مع المسلم الجاهل أو مع غير المسلم.

الموقف من الحوار وسيلة:

سبق القول بأن الحوار من حيث هو وسيلة اتصال، ينقسم إلى: حوار لفظي تلقائي بين الناس، وحوار مرتب مسبقاً، وحوار عملي. وعندما ننظر إلى موقف الإسلام من هذه الأشكال مجردة من أي سياق فإن الإسلام يرى أن الحوار سنة من السنن الكونية التي لا تكون الحياة البشرية بدونها ولا تنتعش إلا بها. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

لقد خلق الله الناس من أصل واحد؛ فهم جميعاً يشتركون في أشياء كثيرة بالفطرة. ثم جعلهم يختلفون في أشياء ليتعارفوا. والتعارف لا يكون إلا بالاتصال ومنه الحوار بأشكاله المختلفة. وهذا التعارف سيدفعهم إلى التعاون والتنافس لكي يتمكنوا من تحقيق أقصى حدود السعادة في الدنيا فقط أو في الدنيا والآخرة معاً. وجعل الإسلام التقوى المعيار الحقيقي الذي يفرق بين المتنافسين لكي يدركوا أن التنافس الحق ينبغي أن يكون على السعادة الأبدية في الآخرة.

وبعبارة أخرى، فإن بعض أنواع الاختلاف ضروري لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة، مثل الاختلاف في المهارات الذي يسهم في توفير الاحتياجات البشرية المتنوعة بطريقة تكاملية. والحوار وسيلة فعالة للاتصال والتنسيق والتعاون بين المختلفين في القدرات والمشارب...



وعموما فإن أمثلة الحوار في القرآن وفي السنة وفي حياة علماء المسلمين كثيرة، ومن أمثلة الحوار في القرآن الكريم حوارہ تعالى مع مخلوقاته الملائكة عند خلق آدم وبعد خلقه^(١) والحوار بين موسى والخضر عليهما السلام^(٢) وحوار الأنبياء مع أقوامهم.

الموقف وطريقة الحوار :

لقد تبين في الحديث عن أشكال الحوار المختلفة أن منها ما هو مذموم لا تصافه بصفات مذمومة، مثل المراء؛ ومنها ما ينبغي اجتناب استعماله إلا للضرورة، مثل المناظرة والمباهلة. ومنها ما هو حيادي ولكن لا يصلح لكل الموضوعات مثل، المفاوضة. ومن المعلوم أن المحاوراة التي يسيطر فيها روح التحدي أو الاستشارة المذمومة حتى مع الكافرين. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨) (٣).

ومن طريقة الحوار المنهي عنه الجدال ابتداء بعنف حتى مع غير المسلمين من أهل الكتاب. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ (٤). ومن الجدال المذموم المجادلة عن جهل أو بالباطل وإن كَانَ مزحاً. (٥)

(١) سورة البقرة: ٣٠-٣٢؛ سورة الإسراء: ٦١-٦٥ .

(٢) سورة الكهف: ٦٥-٨٢ .

(٣) سورة الأنعام: ١٠٨؛ صيني، الحوار النبوي ص ١٦-٣٩ .

(٤) سورة العنكبوت: ٤٦ .

(٥) سورة الحج: ٨-١٠؛ سورة النساء: ١٤٠ .



الموقف من فن الحوار وعلمه:

يعترض بعض الباحثين على استخدام بعض علوم الحوار وفنونه بسبب عدم التفريق بين القواعد التي تمثل تلك العلوم أو الفنون وبين سوء استعمالها. ويستشهدون بأقوال بعض علماء السلف. ومن هذه العلوم الجدل اليوناني، وعلم الكلام، الجدل الفقهي.

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات ويحثه على التفكير في خلقه. وقد يسيء الإنسان استخدام العقل فيجادل بالباطل أو يمنح العقل صلاحيات أكبر من قدراته فيجعله حكماً في مصداقية حقائق لا سبيل له إلى معرفتها إلا بالنقل. فهي حقائق مما جاءت به الأنبياء والرسول من رب العالمين أو ما نقله الآخرون من خبراتهم أو تجاربهم العلمية التي يصعب على العقل البشري المحدود استيعابها أحياناً. فهل نلوم العقل أم نلوم طريقة استخدامه؟

بيد أنه عند الرجوع إلى المصادر الأصلية لعلماء السلف ولأقوالهم في سياقاتها الأصلية نجد وضوحاً وواقعية في حكمهم على المنطق الذي يضم الجدل اليوناني. فابن تيمية مثلاً يعلق على القول بأن تعلم المنطق فرض كفاية فيقول بأن هذا الادعاء قول فاسد لأسباب منها: (١)

١ - يشتمل المنطق على أمور فاسدة، وإن كان فيه أمور صحيحة كانت سبباً في رجوع كثير عن باطلهم.

٢ - الحذاق في المنطق لا يلتزمون بقوانينه في كل علومهم إما لطولها أو

(١) ابن تيمية، فتاوى ج ٩: ٥-٩.



عدم فائدته أو قلة فائدته أو لفساده.

ويقول في فتوى أخرى: "فبعضه حق وبعضه باطل. والحق الذي فيه كثير منه أو أكثره لا يُحتاج إليه، والقدر الذي يُحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقل به، والبليد لا ينتفع به، والذكي لا يحتاج إليه، ومضرته على من لم يكن خبيراً بعلوم الأنبياء أكثر من نفعه، فإن فيه من القواعد السلبية الفاسدة ما راجت على كثير من الفضلاء." (١)

وواضح أن ابن تيمية إنما كان يتحدث عن علم المنطق اليوناني الذي انبهر به بعض علماء الإسلام وغالوا في قيمته وأصبح اليوم في حكم المنقرض، ولا يتحدث عن المنطق بمعنى استعمال الأدلة العقلية في إثبات الحقائق أو نفيها إذا كان في إطار التعاليم الإسلامية.

ومن الراجح أن دراسة علم الجدل اليوناني أو الجدل الإسلامي (في العقيدة والفقه) أو اكتساب مهارة الجدل وتعلمه يلحق عموماً بحكم الإسلام في الحوار بصفته وسيلة نافعة، في كثير من ميادين المعرفة. والجدل العلمي الذي يعتمد على العقل البشري، كأى وسيلة أخرى يكتشفها الإنسان أو يصنعها تحتاج إلى تطوير مستمر لتواكب الاحتياجات البشرية المتنامية. (٢) ولهذا ليس من الحكمة تضييع الوقت في تعلم الجدل اليوناني في هذا العصر وإن كان لأغراض دعوية، وإن كان الغرب قد استفاد منه في تطوير مناهجه العلمية. (٣)

(١) ابن تيمية ج ٩: ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) صيني، الحوار النبوي ص ٨٢-٨٣.

(٣) انظر مثلاً: Encyclopedia Britannica, Aristoteles, logic.



فقد أثبت التاريخ أن فائدته قليلة في الدفاع عن الإسلام، بل ربما كان شره أكثر. فقد كان سببا في وجود كثير من الفرق التي تجرأت على العقائد الإسلامية بإخضاعها للجدل العقيم. أما فائدته في هذا العصر فيمكن أن يقال أنها منعدمة.

ولعل أفضل وسيلة للدفاع عن الإسلام هو أن نتعرف جيدا على واقع حياة المنكرين على الإسلام بعض تعاليمه. ثم نكشف لهم التناقض بين موقفهم من هذه التعاليم الإسلامية وبين موقفهم من بعض ممارساتهم المشابهة المشروعة عندهم سواء أكانت ممارسات فردية أم جماعية.^(١)

فعلم الجدل أداة محايدة، والمناسب منه للدفاع عن الحق ولإزهاق الباطل لا غنى للمسلمين عنه، ولا سيما في عصرنا الحاضر التي سيطر فيه الفكر اللاديني. ومن زاوية أخرى، فإن اكتساب مهارة الحوار وتعلم قواعده وآدابه الفطرية أو الإسلامية لا يضر في ذاته ولا ينفع بدون استعمالها.

الحوار بين ممثلي الأديان:

لقد تقدم معنا بأن الحوار يجوز مع غير المسلمين بشروطه في مجالات الحياة الكثيرة ومنها التعاليم الدينية، فما هي القاعدة العامة في الموضوع؟

إن التعدد في العادات والتقاليد والحضارات التي تخرج عن دائرة الدين لا تشكل عقبة كبيرة في طريق الحوار بين الحضارات ما لم تكن هذه التقاليد مبنية ومقيدة بالأنظمة المكتوبة أو التشريعات الربانية. فالعادات والتقاليد

(١) انظر مثلا إسماعيل، تساؤلات جدلية حول الإسلام. وهو مثال لاستخدام المنطق المبني على واقع حياة غير المسلمين لتوضيح التعاليم الإسلامية التي تثير التساؤل عندهم.



والتراث الفكري والمادي - في الغالب - هي من صنع الإنسان وتنمو بصورة تلقائية وتتغير عبر الأزمان، وتتسم بشيء من المرونة ملحوظة. لهذا يمكن أن تنتقل بسهولة من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى مجتمع آخر. أما بالنسبة للدين فإنه أكثر رسوخا ومصدره خارجي ويرتبط بمجموعة من المعتقدات الراسخة التي لها قدسية خاصة. فإما أن تكون متتميا - ولو اسميا - إلى هذا الدين أو إلى ذاك أو لا متتميا. والدين الصحيح بعد بعثة النبي محمد ﷺ واحد في نظر الإسلام. ولهذا هناك حساسية بين بعض المسلمين تجاه ما يسمى "الحوار بين الأديان" ظنا منهم بأنه نوع من التفاوض على الثوابت الدينية. ويسارع بعضهم إلى إصدار الحكم بالتحريم بناء على الصورة الذهنية التي تكونت عندهم نتيجة معلومات قديمة أو مبالغ في سلبياتها. والأصل أن لا يتعجل المسلم في إصدار الأحكام على أشياء لم يتعرف عليها بصورة كافية.

وينطلق الإسلام من قاعدة عامة، بل ويجب الانطلاق منها لإنجاح أي عملية حوار هدفها تأليف القلوب وإنشاء التعاون في الأمور الدنيوية. وتتمثل هذه القاعدة في أن يؤمن المشاركون المسلم بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم، وتبقى العلاقة سلمية إلا أن يبادر الآخرون في عداوة الإسلام أو عداوة المسلمين من أجل دينهم. بل إن من حق غير المسلم على المسلم أن يعرفه بالإسلام ويدعوه إليه، ولكن دعوة الند للند^(١) أي أن تقتصر الدعوة على أسلوب الإقناع دون إكراه. يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فالإسلام يدعو إلى الخير

(١) صيني، حقيقة العلاقة ص ٦ - ٥٤ .



الشامل في الدنيا والآخرة لجميع المخلوقات المكلفة (الإنس والجن). وحتى من يرفض الإسلام طريقاً للنجاة في الآخرة، دون أن يعادي الإسلام أو يظلم المسلمين ولا يساند من يظلمهم، فإن الإسلام يجعل حسن المعاملة هي القاعدة في التعامل معه. (١) يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة: ٨-٩) ويحث الإسلام على التعاون مع غير المسلمين لتحقيق المصالح المشتركة، في الحياة المؤقتة ما لم يكن لهذا التعاون أثر سلبي على سعادة المسلم في الحياة الأبدية. فالله سبحانه وتعالى جعل التعاون بين الناس ميلاً فطرياً، حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

وبعبارة أخرى، فإن الإسلام يحث جميع المخلوقات المكلفة (الإنس والجن) على التعاون لتحقيق السلام في الدنيا والآخرة. والسلام - كما هو معلوم - معناه إتاحة الفرصة لكل فرد راشد لأن يعمل على إسعاد نفسه دون تدخل من الآخرين إلا أن يحاولوا مساعدته بدون إكراه لتحقيق السعادة التي ينشدها أو التي هي أفضل منها.

وهذا يؤكد حقيقتين مهمتين:

(١) أن جزءاً من الاختلاف بين الناس أمر فطري، ليتعارفوا ويتنافسوا.

(١) صيني، حقيقة العلاقة ص ٥٥-٨٨.



٢) أن وجود بعض الاختلافات بين الناس، وإن كانت في الدين، لا تمنع من التعاون مع الآخرين في الأمور المشتركة الكثيرة. بل ينبغي أن يتعاونوا فيها ليكمل بعضهم جهد البعض الآخر لتحقيق السعادة للجميع في الحياة الدنيا.

ولهذا من الطبيعي أن يكون للإسلام مواقف واضحة بالنسبة للحوار بين أتباع الأديان المختلفة ومنها الحوار بين ممثلي الأديان المختلفة. وسيتم فيما يلي استعراض موقف الإسلام من الأصناف المختلفة من الحوار بين ممثلي الأديان.

الموقف من الحوار للتقارب:

هذا النوع من الحوار يعني أو يقتضي استعداد أصحاب الأديان المتحاورين أو الحضارات للتنازل عن بعض معتقداتهم وتشريعاتهم الدينية طوعية وقبول الحلول الوسطى، وإن كانت أشياء محدودة جداً تندرج ضمن المجاملة عند كثير من الناس. وبعبارة أخرى، فإن الأطراف المشتركة في هذا النوع من الحوار يعترفون بالتعددية في الدين قناعة بصوابها جميعاً، وأن مسألة الانتماء إلى دين محدد هي مسألة ارتياح شخصي وتفضيل.

والأصل أن الحوار بهذا المعنى ترفضه جميع الأديان ذات الطبيعة الدعوية التي تحرص على فلاح البشرية جمعاء في الآخرة على الأقل. فهذا يؤدي إلى مسخ الأديان ويرفضه الإسلام بصورة جازمة. ولعل من الأنشطة التي تقع في إطار هذه التعددية ما سماه إبراهيم بالتلفيق وهي مرفوضة إسلامياً. ومن هذه الأنشطة المرفوضة: إصدار مجلد أو سلسلة من المجلدات تضم الكتب المقدسة كلها للأطراف المعنية بالتعاون في تمويلها ونشرها، ومنها بناء معابد مشتركة، أو المشاركة في صلاة الديانة الأخرى، أو مزج النصوص أو الأدعية



الخاصة بديانتين مختلفتين.

وهذا المعنى يختلف عن قبول التعددية باعتبارها واقعا موجودا، وينبغي التعامل معها بطريقة تحقق السلام لأصحاب الأديان جميعا، وذلك:

- ١ - بضمان حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية الخاصة. ثم يتحمل أتباع كل دين نتيجة اختيارهم في الآخرة بصفة خاصة.
- ٢ - تعاون الأقلية مع الأغلبية لتحقيق المصالح الدنيوية المشتركة التي لا تقبل التعدد داخل الانتماء الواحد (مثل الوطن) وإن كانت تتعارض مع بعض التشريعات الدينية بالنسبة للأقلية المسلمة. وهذا لا يعني التنازل بالكلية، ولكن الإيقاف الاضطراري للتطبيق.

والحق يقال فإن الإسلام عمل بهذه المبادئ منذ أربعة عشر قرنا، ولم تطبقها الشعوب المسيحية إلا عندما سيطر عليها الفكر العلماني في القرن الأخير. ومن المعلوم أن العلمانية هي وليدة الصراع بين المسيحية المنحرفة عن النصرانية الأصلية وبين العقل والمنطق.

الحوار لدعوة كل طرف الآخر:

لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن جميع الأديان ذات الطبيعة الدعوية تنادي به وتحث عليه. فالمسيحيون والمسلمون مثلا جميعا يحرصون على عدم احتكار الطريق الذي يعتقدون أنه الطريق الصحيح الذي يحقق الفلاح في الحياة الأبدية للبشرية جمعاء. ولهذا كان من الطبيعي أن يحرص كل صاحب دين دعوي على دعوة الآخرين ومحاولة إقناعهم بما يؤمن به، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.



والدعوة إلى الدين ليست إلا عملية إنشاء لهذا النوع من الحوار؛ وهي من وجهة النظر الإسلامية واجبة على كل مسلم راشد في حدود معرفته. فالإسلام إذاً يحث المسلمين على هذا النوع من الحوار ويضع له الضوابط المناسبة، ومنها:

١- أن تتم الدعوة في ظل ضوابط منصفة. وعلى رأس هذه الضوابط كفالة حرية الاختيار للآخرين وعدم الإكراه بأي أسلوب، أو الخداع. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٢- استخدام اللطف وتجنب التحدي ابتداءً، بل واستخدام الاستعطف فهو سنة الرسل جميعاً.^(١)

وبالنسبة للطرف المسلم فإن عليه أن يتبع سنة الأنبياء في آداب الحوار، ولكن دون أن يتنازل عن الثوابت من معتقداته أو عباداته وتشريعاته، إلا في الحدود التي يسمح بها الإسلام بها وبأدلة واضحة، مثل حالة الاضطرار.^(٢)

الحالات الخاصة:

تمنع بعض الدول التي يمثل المسلمون فيها أغلبية السكان الأنشطة التي تدعو إلى الأديان أو المذاهب الفكرية الأخرى، ومنها المملكة العربية السعودية، وذلك لسببين رئيسيين:

أولاً - لأن جميع السكان أو غالبيتهم اختاروا الإسلام ديناً يتم التعبد به، وشريعة تضبط علاقتهم فيما بينهم وبين غيرهم. ومن أساسيات الإسلام الإيمان بالتالي:

(١) انظر مثلاً: سورة النحل: ١٢٥؛ الأنعام: ١٠٨؛ هود: ٦٣؛ غافر: ٤١

(٢) صيني، كيف نشرك غير ص ١٠-٥٢.



(١) وجود خالق واحد للكون كله هو الله الواحد الأحد ، يقول تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (سورة الإخلاص) (١).

(٢) الخالق واحد ولا يستحق العبادة أحد سواه.

(٣) الخالق لا يحتاج إلى وسيط يخبره بحاجة مخلوقه.

(٤) ميز الله الجن والإنس بصفات هي: العقل، وحرية الاختيار النسبية، وزودهم بالهداية المتمثلة في الفطرة السليمة وفيما جاءت به الرسل. وهم محاسبون على أعمالهم في الحياة المؤقتة ليجنو ثمارها في الحياة الآخرة، حيث الجنة أو النار.

(٥) لا بد للمخلوق المكلف (الجن والإنس) أن يطيع أوامر الله التي أنزلها على آخر رسله، محمد ﷺ.

وبهذا يتضح أن الأديان الحالية والمذاهب الفكرية تتعارض مع الإسلام في واحدة أو أكثر من هذه الأساسيات. وبث الأفكار المعارضة يهدد أمن المواطنين ليس في الحياة المؤقتة فحسب؛ ولكن في الحياة الأبدية أيضاً.

ثانياً - إن حرية الاختيار ولا سيما في مسألة مصيرية تؤثر على الحياة الدنيا والآخرة ينبغي أن تقيد ببلوغ الإنسان سن الرشد. وسكان أي بلد في الغالب ليسوا جميعاً راشدين. فهناك الكثير من المواطنين الذين لم يبلغوا سن الرشد. وهؤلاء في حاجة إلى الحماية من الأفكار والمعتقدات التي تهدم المعتقدات التي تتمسك بها أغلبية المواطنين في البلاد أو جميعهم. وهذا أمر طبيعي تفره

(١) لفظ الجلالة "الله" في العربية يطلق على الإله ولا يقبل التشبيه ولا الجمع، بخلاف ترجماته في اللغات الأخرى.



المواثيق الدولية للحقوق الثقافية التي تمنح الأب والوصي الشرعي حق اختيار نوع التربية لأولاده.^(١)

ومن الطبيعي أن تمنع بعض الدول داخل حدودها السياسية أنشطة تعتبرها خطيرة من وجهة نظرها الخاصة، وتؤثر على أمنها الداخلي أو سلامة مواطنيها، وإن كانت هذه الأعمال لا تؤثر إلا في حدود الحياة الدنيوية المؤقتة. وهذا ما تفعله جميع الدول، حتى الديمقراطية منها. فكيف إذا كانت هذه الأنشطة خطيرة لا يقتصر أثرها على الحياة الدنيوية المؤقتة ولكن على مستوى الحياة الأخرى الأبدية أيضاً؟

وما دامت هذه القرارات لا تلحق أضراراً حتمية بالآخرين، فإن هذا يتسق مع مبادئ الأمم المتحدة التي تؤكد على استقلالية الدول الأعضاء وحمايتها. وعلى الرغم من منع الجهود التي تنشر الأديان أو الأفكار المتعارضة مع الإسلام فإن جميع الدول ذات الأغلبية الإسلامية تسمح لمواطنيها من غير المسلمين بممارسة عباداتهم الخاصة، وتطبيق تشريعاتهم الخاصة بالنسبة للأحوال المدنية في الحدود التي لا تتعارض مع تشريعات الأغلبية. وللبقعة التي تحتلها المملكة حرمة خاصة في الإسلام.^(٢) وبالنسبة للأمور التي لا تقبل التعدد فإن على الأقلية التسليم لما تقرره الأغلبية حسب الأنظمة الشائعة في العالم وعلى رأسها النظم الديمقراطية.

أما بالنسبة للمقيمين أو الزائرين من غير المسلمين في البلاد الإسلامية

(١) الميثاق الدولي لحقوق الإنسان، المادة ٢٦: ٣؛ الاتفاقيات الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ١٣: ٣.

(٢) للتفاصيل انظر إسماعيل، تساؤلات حول الإسلام ص ١٥-٢١.



فتطبق عليهم الدولة الإسلامية أنظمة البلاد، وإذا لم يرغبوا في البقاء فيها بهذه الشروط فإن الدولة لن تجبرهم على البقاء إلا في حدود العقود التي التزموا بها.

حوار التحدي أو المناظرة:

لا يجيز الإسلام هذا الحوار ابتداءً، ولكن يجيزه كرد فعل مناسب لهجوم مسبق من الطرف الآخر، وذلك توضيحاً للحق ومنعاً للالتباس فيه، وحماية لإيمان من لم يتمكن الإسلام من قلبه، ولم يكتسب المناعة الكافية ضد جهود التشكيك.

الحوار لتبادل المعرفة:

إن موقف الإسلام من جميع أنواع الحوار التي تهدف إلى تحقيق التعارف وإزالة الوحشة بين أصحاب الأديان المختلفة والتأليف بين قلوبهم والتعاون فيما بينهم ولتبادل المعرفة هو تشجيع ذلك، ليس اعترافاً بصحة الأديان الأخرى، ولكن تعرفاً على واقعها ليسهل التعامل مع أصحابها بطريقة سلمية. وهذا التوجه ينطلق من قوله: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" (١).

الحوار التلقائي بين رجال الدين:

لقد سبقت الإشارة إلى أن أكثر أنواع الحوار فعالية في تحقيق الألفة والسلام بين أتباع الأديان المختلفة هو الحوار التلقائي الذي يجري في الحياة العامة. وفعالية هذا النوع من الحوار تركز إلى أنه تلقائي غير مصطنع؛

(١) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء.



ويستخدم وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية. وما ينطبق على عامة الناس فإنه ينطبق أيضا على رجال الدين والدعاة إلى الأديان المختلفة.

حوار للتعاون على البر والتقوى:

وهذا النوع من الحوار يهدف إلى أن يتعاون أتباع الأديان المختلفة فيما بينهم لتحقيق المصالح المشتركة في المجالات التي يتفقون فيها. وهي فوق الحصر حتى مع اشتراط عدم تضحية المسلم بالسعادة في الحياة الأبدية. وأوجه التعاون لا تقتصر على التواصي بالحق ولكن تشمل أنشطة لا تعد ولا تحصى. والأمثلة على ذلك بارزة في واقع حياتنا اليومية. وكفي أن ينظر المسلم إلى ما يأكل ويشرب، وفي مسكنه وفي وسائل مواصلاته واتصالاته... بل إن الإسلام يحث على التعاون في رفع الظلم عن المظلومين.^(١)

أما في حالة رفض البعض التعاون لتحقيق السعادة على مستوى الدارين: الدنيا المؤقتة والآخرة الأبدية، فإن الإسلام أيضاً يحث المسلم على التعاون لتحقيق العيش بسلام وتحقيق السعادة في الدنيا لكل فريق من زاويته الخاصة كما سبق بيانه. بل إن الإسلام أحيانا يقبل حكم الأغلبية في تعامله مع غير المسلمين في الأمور العامة، مثل إعفائه الأقلية المسلمة من تطبيق الحدود. ويحث هذه الأقلية على أن يكونوا مواطنين صالحين في بلادهم، بل وأن يكونوا قدوة طيبة، وذلك لأن الإسلام دين واقعي، ولكن دون تنازل عن معتقداتهم وتهاون في عباداتهم وفي تطبيق التشريعات الإسلامية غير الممنوعة.^(٢)

(١) صيني، علاقة المسلمين بغير ص ٥٩ - ٦٥ .

(٢) المجمع الفقهي، بيان مكة المكرمة.



والسلام - كما هو معلوم - معناه إتاحة الفرصة لكل فرد أن يعمل على إسعاد نفسه دون تدخل من الآخرين إلا أن يحاولوا مساعدته بدون إكراه له لتحقيق السعادة التي ينشدها أو التي هي أفضل منها. فأصل التعامل بين جميع الأفراد الراشدين من المخلوقات المكلفة هو تعامل بين الأنداد وليس بين وصي وموصى عليه.^(١)

وبهذا يتبين أن الإسلام لا يرى اختلاف الدين مانعاً للتحاور بين أصحاب الأديان المختلفة ومنهم ممثلي الأديان، بما في ذلك التفاوض في كثير من الأمور، ولا سيما إذا كان يسهم في تحقيق العدالة والسلام في العالم ويكافح الإرهاب العدواني. بل يشجع جميع أشكال الحوار التي تحقق السعادة لأطراف المحاورة ما لم يكن ذلك على حساب سعادة المسلم في الدار الآخرة الأبدية. وينبغي للمسلم أن لا يدخل طوعية في حوار رسمي إلا إذا كان دينه يسمح بذلك. كما ينبغي للأطراف المتحاورة أن لا تغفل عن بعض الأسس اللازمة لنجاح الحوار عبر الأديان، ومنها ما يلي:

١ - الصراحة. فبدونها تدور هذه الحوارات في جو المجاملات التي لا تؤدي إلى أية نتائج عملية. ولضمان نجاح هذه المؤتمرات أو الندوات بين أصحاب الأديان المختلفة فإنه لا بد من بناء الحوار على أسس واضحة وليس على المجاملات التي لا تمس ما في القلوب أو النفوس. فيكون التعامل ذو وجهين: وجه عند اجتماع أصحاب الأديان في الندوات، ووجه عند اختلاء أصحاب الدين الواحد برفاقهم. ويقول البعض في هذا المعنى ينبغي الدخول

(١) صيني، حقيقة العلاقة ص ١١١-١١٤ .



في هذا الحوار بصدق وشجاعة وتواضع وأن نتجنب الحوار الذي يمكن تسميته بالنفاق المتبادل.^(١) وبدون صدق الطرفين وإخلاصهما فإن أحدهما -غالبًا- سيكون ضحية للطرف الآخر. وهو ما أشار إليه الشريف عندما تحدث عن طبيعة الحوار اليهودي الصهيوني مع الأديان الأخرى.^(٢)

٢- أن يكون القائمون به من أصحاب النفوذ والقيادات التي لها أثرها في الجماهير، أو يمثلون منظمات لها شعبيتها، ولديهم وسائل تمكنهم من نشر ما يتم التوصل إليه والدعوة إليه وتطبيقه. وبدون توفر ذلك فإن المسألة تصبح وكأن الإنسان يتحدث إلى نفسه.

٣- توفير البيئة العملية المناسبة للحوار في الحياة اليومية. فبدون ذلك يبقى الحوار المنظم -كما يقولون- حبرا على ورق بالنسبة لعامة الناس. ومن عوامل توفير البيئة المناسبة للحوار عدم نشر الإشاعات والأكاذيب التي تحاك ضد الأديان وتتهمها بالرعب والإرهاب، وعدم الإساءة إلى المقدسات والشخصيات لدى الأديان المختلفة.

٤- مراعاة آداب الحوار، ومنها مناداة كل طرف الآخر بما يحبه من الأسماء والألقاب. فالإسلام مثلاً يجيز مناداتهم بـ يا أهل الكتاب^(٣) يا أبت^(٤) يا بني^(٥) يا قوم^(٦) ويخاطب النبي ﷺ عمه أبا طالب الذي مات

(١) جبور، من أجل تعاون أفضل؛ الزراف ص ٧-١٣ .

(٢) الشريف، ٢٢-٢٥ .

(٣) سورة آل عمران: ٦٤ .

(٤) سورة مريم: ٤٢ .

(٥) سورة هود: ٤٢ .

(٦) سورة هود: ٦٣ .



على الشرك " يا عم " .^(١) وبكثرتهم كما فعل الرسول ﷺ وهو يخاطب أمية ابن صفوان قبل إسلامه " انزل أبا وهب " .^(٢) ولا غرابة في ذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى للمؤلفة قلوبهم نصيباً من زكاة المسلمين، ويزودنا في القرآن الكريم بنماذج استخدم فيها الأنبياء الاستعطاف لإقناع أقوامهم بالحق. كما يحثنا سبحانه وتعالى بوضوح على حسن التعامل مع الآخر بقوله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨). ولعل من المناسب أن نستعرض بعض سمات البيئة التي يوفرها الإسلام لنجاح الحوار المخلص بين ممثلي الأديان، وكذلك استعراض البيئة التي توفرها الشعوب التي تدين بديانات أخرى. فنجاح أي نوع من الحوار اللفظي الرسمي يتأثر كثيراً بالبيئة التي يوفرها أتباع الأديان المختلفة لهذا الحوار.

توفير البيئة المناسبة لنجاح الحوار:

إن الحوار بأشكاله المختلفة يحتاج إلى بيئة مناسبة تتوفر فيها فرصة التعايش السلمي بين المختلفين في بعض الأمور والمتشابهين في كثير من الأمور التي فطر الله المخلوقات المكلفة عليها ومنهم البشر. لهذا حرص الإسلام على توفير مثل هذه البيئة المناسبة للحوار بين أتباع الحضارات والأديان المختلفة لتحقيق أقصى حدود السعادة في الحياة المؤقتة والأبدية للجميع. ويمكن تقسيم المساهمات الإسلامية إلى قسمين رئيسيين: مبادرات إسلامية، ثقة وتعاون مع غير المسلمين.

(١) الترمذي: تفسير القرآن رقم ٣١٥٦.

(٢) مالك: النكاح ٩٩٧.



مبادرات إسلامية:

فمن قواعد الإسلام الثابتة أنه يشجع على تعزيز الروابط المختلفة الموروثة والمكتسبة بين المخلوقات المكلفة مادامت تلك الروابط تحقق للإنسان الخير في الدنيا بدون تفريط بخير الآخرة أو تحقق له الخير في الدارين. ولكن هذا التشجيع مشروط بالموازنة بين حقوقها، كل واحدة حسب أهميتها النسبية في ضوء المعايير الربانية. والرابطة العقدية التي لا تقبل التعدد هي أعلاها. فهي المعيار الرباني الذي يحدد أهمية الروابط الأخرى. ومن الروابط التي يشجع الإسلام على تعزيزها رابطة الإنسانية أو رابطة الانتماء إلى مخلوق له أصل واحد، ورابطة الرحم، ورابطة الجوار.

ومن الروابط التي عني الإسلام بها رابطة الوطن الواحد. فقد عرف الإسلام التعددية في أول وحدة سياسية إسلامية نشأت في المدينة قبل أربعة عشر قرناً^(١) وكانت وحدة متعددة الأعراق (قبائل الأنصار وقبائل المهاجرين، واليهود)، ومتعددة الدين (المسلمون واليهود والوثنيون). فالإسلام يحث على التعاون في سبل الخير بين الناس عامة. يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (المائدة: ٢).

وهذا التعاون يندرج تحته كل مساهمة تؤدي إلى توفير الخير العام في البلد الذي ينتمي إليه المسلم ويعيش فيه كمواطن، وإن كانت أغلبية السكان من غير المسلمين. ولو أخذنا بعض النماذج الأخرى لوجدنا أن الاختلاف في العقيدة لم يمنع الرسول ﷺ من العناية بالعلاقات الودية حتى في المستوى الدولي. فقد أوصى خيراً بأهل مصر عموماً في قوله: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض

(١) ابن هشام ج ٢: ١٠٧-١٠٨، حميد الله ص ٣٩-٤٧؛ العواص ص ٥٠-٦٤.



يسمى فيها القيراط (عملة كانت سائدة في مصر) فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما. " وذلك لأن هاجر أم إسماعيل عليهما السلام، الجد الأعلى للنبي ﷺ، كانت من مصر. وكذلك كانت مارية مصرية. وهي إحدى أمهات المؤمنين، أنجبت له إبراهيم، رضي الله عنهما. (١)

ولم يمنعه من التصريح بحق الرحم، إذ يروي لنا عمرو بن العاص رضي الله عنه قول النبي ﷺ: إن آل أبي فلان... ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها. " يعني أصلها بصلتها. (٢) بل، وصل النبي ﷺ الرحم حتى في حالة العدو المحارب، حيث أذن لثمامة أن يبيع قريشا ما تحتاجه من الحنطة، عندما سأله قريش بحق الرحم أن يأذن له بذلك. وكان ثمامة سيد بني حنيفة قد حلف أن لا يفعل إلا أن يأذن النبي ﷺ له بذلك. (٣)

وأُسِر أبو العاص ابن الربيع، زوج زينب بنت النبي ﷺ، في غزوة بدر فأرسلت زينب تفديه بقرط كانت ورثتها عن أمها خديجة رضي الله عنهما، فرق لها الرسول ﷺ وأطلق لها زوجها الذي كان لا يزال على شركه. (٤) وتم إطلاق سراحه بشرط إرسال زينب إلى أبيها فوفى العاص بوعده. فأثنى عليه الرسول ﷺ بما يستحق -في إحدى المناسبات- إذ قال: "...أما بعد فأنكحت أبا العاص ابن الربيع فحدثني وصدقني..." (٥)

(١) مسلم: فضائل الصحابة، وصية النبي؛ وانظر الصالح ج ١: ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) البخاري: الأدب، تبل الرحم.

(٣) البخاري: المغازي، وفد بني حنيفة؛ ابن القيم، زاد ج ٣: ٢٧٧.

(٤) العسقلاني: ج ٧: ١٠٧، وانظر ابن القيم، زاد ج ٣: ٢٨٢.

(٥) البخاري: فضائل الصحابة، ذكر أصحاب النبي.



وأجاز النبي ﷺ الأمان الذي أعطته أم هاني لمشركين من ذوي رحمها، عند فتح مكة. (١)

وانطلاقاً من المبدأ نفسه أهدى عمر بن الخطاب لأخيه المشرك ثوبا (٢)، وذلك بالرغم من الحزم المعروف عن الخليفة الراشد، حتى أن الشيطان كان يهرب من طريقه. (٣)

بل إن القرآن الكريم يصرح بحسن معاملة الوالدين المشركين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨). وكذلك يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٤-١٥).

ولهذا أذن الرسول ﷺ لأسماء رضي الله عنها بإكرام أمها عندما قدمت عليها في المدينة مع أنها كانت مشركة. (٤)

وانطلاقاً من هذا المبدأ الذي يوفر البيئة المناسبة للحوار من أجل الأفضل للجميع كان الرسول ﷺ يكرم أضيافه وإن كانوا غير مسلمين فقد سمح - من باب إكرام الضيف - مثلاً لوفد نجران النصراني أن يؤدي صلاته في

(١) البخاري: الجزية، أمان النساء.

(٢) البخاري: الأدب، صلة الأخ المشرك.

(٣) البخاري، فضائل الصحابة، مناقب عمر.

(٤) البخاري: الأدب، صلة الوالد المشرك.



مسجده. ^(١) وكذلك قال ﷺ مثلاً: " ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة ". ^(٢) فهو يحث على عمل الخير بصرف النظر عن الاستفادة منه. ويندرج تحت هذا كل مساهمة تؤدي إلى توفير الخير العام في البلد الذي ينتمي إليه المسلم ويعيش فيه كمواطن، وإن كانت أغلبية السكان من غير المسلمين. وأوصى الإسلام برابطة الحوار خيراً، حيث يقول الرسول ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " دون تقييد أن يكون الجار مسلماً أو غير مسلم. ^(٣) ويعلق العسقلاني علي الحديث مستدلاً بالآيات التي توصي بالجار ذي القربى والجار الجنب فيقول: " الجار القريب المسلم والجار الجنب غيره. " وحمل عبدالرحمن بن عمرو هذا الحديث على وجه العموم " فأمر لما ذُبح له شاة أن يهدي منها لجاره اليهودي.

ومن الأدلة والأمثلة التي أشار إليها القرضاوي في هذا المعنى أن الرسول ﷺ بعث إلى أهل مكة وهم في كفرهم ما لا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم، وأنه عليه الصلاة والسلام تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تجرى عليهم. كما أشار إلى أن عمر بن الخطاب رأى نصارى مجذومين فأمر لهم بمساعدة اجتماعية، واغتاله ذمي فلم يمنعه ذلك من أن يوصي بهم خيراً. ويرى بعض العلماء مثل عكرمة وابن سيرين جواز إعطاء فقراء أهل الذمة من الزكاة. ^(٤) ومن مبادئ الإسلام أن يرجو المسلمون للأحياء من المخلوقات المكلفة (الإنس والجن) ما يرجونه لأنفسهم من الخير فيدعون لهم بالهداية والرشاد.

(١) ابن القيم، زاد ج ٣: ٦٢٩ .

(٢) البخاري: الأدب، رحمة الناس والبهائم.

(٣) البخاري: الأدب، الوصاية بالجار. وبقية الباب وتعليق العسقلاني ج ١٠: ٤٥٥-٤٥٧ .

(٤) القرضاوي ص ٤٣-٥٤ .



وهو مبدأ أنبياء الله جميعاً، بل وأن يبذلوا الوقت والمال والجهد لإقناعهم بالحق حتى تُكتب لهم السعادة في الدارين، وتبرأ ذمتهم ويكسبون الأجر العظيم.^(١) وانطلاقاً من مبدأ التفريق بين المعادين والمسلمين فإن الإسلام ضمن للمسلمين من غير المسلمين عدداً من الحقوق في الإطار العام لقوانين الدولة الإسلامية التي يتمتعون إليها. ومن هذه الحقوق الاعتراف بحقوق غير المسلمين في ممارسة عباداتهم، وتطبيق تشريعاتهم فيما يتصل بالشؤون المدنية مثل شؤون الزواج والطلاق والإرث وغيرها فيما بينهم. ومن هذه الحقوق الاعتراف لهم بما هو مباح من المأكل والمشرب في صميم عقيدتهم بشرط عدم ترويجها بين غيرهم.^(٢) وهذه الحقوق مضمونة ما دام غير المسلم يحترم القوانين العامة للبلاد الإسلامية ومعتقداتها، وما دامت ممارساته لحقوقه لا تشكل خطراً على سلامة الدولة التي يعيش فيها ومواطنيها عامة، أو ليس فيها ازدراء صريح لدين الأغلبية المسلمة، أو لا تُعتبر خرقاً لقوانينها الأساسية المشتركة. وهذا الشرط الأخير طبيعي لأن المسلم في البلاد غير الإسلامية أيضاً لا يستطيع تطبيق بعض تعاليمه الدينية الأساسية، مثل تنفيذ حكم الإعدام في القاتل المتعمد وقطع يد السارق وجلد الزاني والزانية على المستحقين من بني عقيدتهم.

ثقة وتعاون مع غير المسلمين:

هناك جهود متبادلة عديدة، تعاون فيها المسلمون مع غير المسلمين لتوفير البيئة الصالحة للحوار الحضاري عديدة. ومن هذه كانت ثقة رسول رب

(١) علاقة المسلمين بغير المسلمين ص ١٩ - ٢٣ .

(٢) انظر مثلاً ابن القيم أحكام أهل الذمة للحقوق المختلفة والالتزامات.



العالمين في عبد الله ابن أريقط الذي كان مشركا. وهذه دلالة قوية على أن هناك فئة من غير المسلمين ليسوا فقط محايدين ولكن موضع ثقة في أصعب الظروف. فقد كان بن أريقط الدليل الذي استخدمه الرسول ﷺ ورفيقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند هجرتهم إلى المدينة متخفيان. (١) كما استعان الرسول ﷺ بعبد الله بن أبي حذرر السلمي الذي كان يومها مشركا ليتجسس على جيش المشركين. (٢) وهذه درجة عالية من الثقة في مشرك. كما اختارت خزاعة، مسلمهم ومشركهم، أن يكونوا حلفاء للمسلمين بعد انعقاد صلح الحديبية وشاركوا في فتح مكة. (٣)

ونصيحة النبي ﷺ لأصحابه المضطهدين بالهجرة إلى الحبشة وهي دولة مسيحية دليل آخر على وجود هذا النوع المحايد من غير المسلمين. فقد قال النبي ﷺ لأصحابه المضطهدين: " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق. " (٤) لقد كانت نصيحته ﷺ في مكانها فقد رحب بهم النجاشي في أرضه وردّ مبعوث قريش الذي جاء ليستعيدهم خائبا. (٥)

ومن الجهود المتبادلة في توفير البيئة المناسبة للحوار البناء على العمل الذي يمثل الخير وإن صدر ممن نختلف معه في الدين ومنها العقيدة. فقد أشار

(١) البخاري: مناقب الأنصار، هجرة النبي؛ وانظر العسقلاني ج ٧: ٢٨٠ .

(٢) ابن هشام ج ٤: ٦٢ .

(٣) المدخلي ص ٤٧، ابن القيم، زاد ج ٣: ٣٩٥ .

(٤) ابن هشام ج ١: ٢٨٠ .

(٥) البخاري: مناقب الأنصار، هجرة الحبشة وانظر العسقلاني ج ٧: ٢٢٧-٢٣٠؛ ابن هشام ج ١: ٢٨٠-٢٩٠ والندوي ص ١٣١-١٣٥ .



الرسول ﷺ بصيغة الثناء إلى حلف الفضول ومن دعا إليه، ومن أسدى إليه معروفًا من المشركين مثل المطعم بن عدي بعد موته، والعاص بن الربيع وأثنى على ملك الحبشة الذي كان نصرانيا في وقتها.^(١)

ولا يرى الإسلام مانعا من التعاقد مع الآخر للعمل في مؤسسته بأجر محدد بالساعات أو بالإنجاز، ولكن ليس في عمل فيه مهانة، أو في عمل طبيعته محرمة مثل بيع الخمر وغيره. وإذا عمل المسلم عند غير المسلم فعليه أن ينصح في عمله ويؤديه بأمانة.

ويروي ابن القيم أن عليا رضي الله تعالى عنه قد آجر "عن نفسه من يهودي يستقي له كل دلو بتمرة، وأكل النبي ﷺ من ذلك التمر." بل ذهب العلماء إلى جواز الوقف على ذوي قرابة منهم الكافرون، دون أن يخصهم بذلك. وأوصت صفية أم المؤمنين لأخ لها كان يهوديا بسهم.^(٢)

وقد أباح الإسلام شراكة الزوجية بين المسلم والكتابية، وأباح الشراكة التجارية مع الآخر بشروطها.^(٣) وكذلك من المباحات مؤاكلتهم والشرب معهم في حدود المباح للمسلمين والاستفادة من علوم الكافرين وحتى المنافقين منهم في أمور الدنيا، والسكنى في ديارهم ولبس ثيابهم وشراء أسلحتهم والانتفاع بخبراتهم ومهاراتهم في الطب وغيره.^(٤) ومن الأمور المعلومة أنه يجوز شراء منتجاتهم الصناعية والزراعية...

ولا يمنع الإسلام في أن يستفيد المسلم من الآخر ويتعاون معه عند الثقة في

(١) الحلبي ج ١: ١٤٣-١٤٧؛ وانظر الحواشي: ٢٣٣، ١٩١، ٢٣٨.

(٢) ابن القيم، أحكام ص ٢٧٠-٢٧٤.

(٣) ابن القيم، أحكام ص ٧٧٦-٧٧٨.

(٤) ابن تيمية، فتاوى ج ٤: ١١٤-١١٦؛ ابن القيم، أحكام ص ٢٧٧-٤٠٠؛ أيوب ص ٩٠-٩٢.



معلوماته وخبراته في الأمور الدنيوية. فالمسلم قد يتلقى المعرفة الدنيوية عن غير المسلم أو يعمل لديه أو يتخذه طبيباً أو مستشاراً... ما دام ذلك يحقق مصلحة يحتاج إليها المسلم. ولكن لا يجوز الولاء العام للآخر لأن الولاء العام يدخل فيه شؤون الآخرة. وهذا الولاء محصور في الله سبحانه وتعالى وفي رسوله والمؤمنين.^(١)

وكان المسلمون يتعاملون مع هذه الأقليات باحترام حتى أن النبي ﷺ يقوم لجنازة يهودي^(٢) وتموت نصرانية فيشيع جنازتها أصحاب رسول الله ﷺ^(٣). ومن مبادئ الإسلام احترام العهود الصريحة والضمنية^(٤) والأمر بالعدل رغم وجود العداوة. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

مساهمات غير المسلمين:

من يراجع أحداث السيرة وأحداث التاريخ الإسلامي يجد أن غير المسلمين ليسوا جميعاً محاربين للإسلام ولأهله، وليسوا جميعاً ممن تنطبق عليهم الآيات التي نزلت في المعادين منهم. بل منهم المحايدون والمعينون للمسلمين والمتعاطفون معهم.

فمن قرأ السيرة النبوية لا يخفى عليه ما بذله عم النبي ﷺ أبو طالب في

(١) سورة المائدة: ٥٥؛ البخاري: الأدب، تبتل الرحم.

(٢) صحيح البخاري: الجنائز.

(٣) القرطبي: ص ٤٣-٥٤.

(٤) سورة الإسراء: ٣٤.



الدفاع عنه، حمية لابن أخيه -الذي عادته قريش بسبب دينه- وبالتالي عن الإسلام.^(١) وإعارة صفوان بن أمية أدرعاً له للمسلمين في غزوة هوازن، وهو على شركه، قصة معروفة.^(٢) ونصح اليهودي ابنه بطاعة النبي ﷺ عندما دعاه النبي إلى الإسلام وهو في حالة الاحتضار ثابتة في كتب السنة.^(٣)

كما أن بني هاشم دخلوا طواعية وحمية لبني عبد المطلب في الحصار الذي فرضته قريش على بني عبد المطلب مع أنهم كانوا في وقتها مشركين.^(٤) ومساعدة بعض المشركين للمسلمين المحاصرين في الشعب بالطعام سرا، وقيام بعضهم بنقض صحيفة الحصار ثابت في السيرة.^(٥) وعندما خذل أهل الطائف رسول الله ﷺ وعاد إلى مكة دخلها في جوار المطعم ابن عدي. فحفظها له الرسول ﷺ رغم موته مشركاً. وقال في أسرى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء لنتنى لتركهم له."^(٦) وهو وفاء يليق برسول رب العالمين. وعندما أراد أبو بكر الصديق الهجرة أجاره ابن الدغنة الذي كان مشركاً ومنعه من الخروج وقال له: "فإن مثلك لا يخرج ولا يُخرج. إنك تُكسب المعدوم وتصل الرحم وتُعيل الكل وتُكرم الضيف وتُعِين على نوائب الحق."^(٧)

(١) ابن هشام ج ١: ٢٣٨-٢٤٣.

(٢) ابن هشام ج ٤: ٦٢.

(٣) البخاري: الجنائز، إذا أسلم الصبي؛ ابن القيم، أحكام ص ٢٠٠-٢٠٢.

(٤) ابن هشام ج ٢: ٣.

(٥) ابن هشام ج ٢: ١٧-٢١، ٣٢-٤٠.

(٦) البخاري: فرض الخمس، ما من النبي؛ وانظر تعليق العسقلاني على الحديث.

(٧) البخاري: مناقب الأنصار، باب هجرة النبي.



ومن يتأمل في النظم غير الإسلامية اليوم يجدها متأثرة بدرجات متفاوتة بالعلمانية التي أسهمت في تحرير الأقليات المسلمة من تسلط الأغلبية من أصحاب الديانات الأخرى. فقد اكتسحت العلمانية المعتدلة معظم دول العالم فخففت من ظاهرة الاضطهاد الديني المكشوف أو المبطن لفترة زمنية طويلة. فالنظام العلماني المعتدل لا يعبأ بالمعتقدات والعبادات ما لم تؤثر بطريقة سلبية على إدارتها لشئون الحياة العامة. وبهذا اختفت بعض إشكاليات التعايش السلمي في النظم العلمانية أو خفت حدتها حتى أحداث ١١ سبتمبر التي أحدثت انتكاسة كبيرة للتعايش السلمي في كافة أنحاء العالم. وهدمت جهود عشرات العقود التي بذلها الآلاف من المسلمين والآخر المحايد. وقد استغل الإعلام المعادي هذه الأحداث بصورة بشعة، وتناقلتها وسائل الإعلام الأخرى ومنها وسائل إعلام إسلامية وعربية. ورغم أن الأدلة تؤكد أنها مؤامرة صهيونية فإن كثير من المسلمين صدقوها.

بيد أن انتشار الفكر العلماني أدى إلى إشكاليات مبطنة تحت ثوب " الحرية الفردية " التي أخذت تحطم حواجز القيم الأخلاقية والدينية. فأدى إلى المروق من الأديان ومنها الدين الإسلامي باعتبار هذا المروق تطوراً فكرياً وسلوكاً طبيعياً، وليس باعتباره تمرداً على الله سبحانه وتعالى وعلى أوامره. وكان من مظاهر هذا التأثير الدعوة إلى التفريق بين الدين والعلم، والاستشهاد بأقوال نشأت في بيئات يتصارع فيها التوجه الديني مع اللاديني، لا تتناسب تماماً مع البيئة الإسلامية التي تحافظ على الوحي في صورتها الأصلية. وكان من مظاهرها أيضاً تقليد الأدب اللاديني باسم التحديث.



والأصل أن نستفيد من إيجابيات العلمانية فيما لا يتعارض مع الإسلام، ونحذر الوقوع في فخاخها التي قد تؤدي إلى أن يخسر المسلم آخرته. فظهرت إشكاليات جديدة لا تقتصر آثارها السلبية على التعايش السلمي مع الآخر فحسب، بل وبين المسلمين أنفسهم. ومن إشكاليات التعايش السلمي في البلاد التي تسيطر فيها الأغلبية العلمانية ما يلي:

١- ما تفرضه الأغلبية غير المسلمة أحيانا على الأقلية المسلمة من نظم تتعدى بها على الحقوق الشخصية. ومثاله منع بعض الحكومات الديمقراطية استعمال الحجاب الإسلامي أثناء العمل في المؤسسات الحكومية وفي المدارس العامة، وحرمان المواطن المسلم والمسلمة من الاستفادة من المدارس الحكومية لتنمية المعلومات اللازمة عن دينهم، مع أنهم يساهمون في إنشاء هذه المدارس وفي تشغيلها بدفع الضرائب المقررة. ومثاله تورط بعض النظم الديمقراطية باستحداث إجراءات تعكس حالة الهلع بدلا من الحفاظ على المثل الديمقراطية التي تحرص على حقوق المواطنين ومنهم المسلمين والزائرين.

٢- إن الأغلبية والأقلية في الإسلام مقيدة بحكم الله، ولكن في النظام العلماني لا يوجد ضابط خارجي تحتكم إليه الأقلية أمام طغيان الأغلبية. وهذا قد يتسبب في فرض ظروف قاهرة على الأقلية المسلمة تمنعها حتى من ممارسة عباداتها بصورة كاملة، أو تطبيق تعاليم الإسلام في حياتها الشخصية، مثل الحالة التي عاشتها الأقلية الإسلامية ردحا من الزمان في الدول الشيوعية عندما كانت في عنفوانها.



٣- الآخرون ليسوا دائماً متحيزين، وليسوا دائماً معادين للإسلام وللمسلمين، بل الحقيقة تقول: إن الغالبية محايدة، ولكن لهم مصالح ومواطنون يغيرون على مصالح أوطانهم، ويتسبون إلى أديان وفلسفات يغيرون عليها إذا تعرضت للهجوم. ولهذا من السهل وقوعهم ضحايا للمتحيزين أو لمن يثيروا الفتن بين الأمم ليحققوا مصالح شخصية لهم، ولا سيما إذا كان بعض المسلمين يوفرون للخبثاء منهم بعض المبررات لمعاداة الإسلام والمسلمين.

٤- على مستوى المجتمع والمؤسسات الخاصة فإن التعامل بالربا بأشكاله المختلفة متغلغل في الأنشطة الاقتصادية بحيث يصعب التخلص منه، ولا سيما مع الحضارة التي تسيطر فيها المادية والجشع المادي. ومثال ذلك أن كثيراً من صغار المزارعين من الأقليات المسلمة مثلاً لا يجدون سبيلاً إلى تسويق منتجاتهم ما لم يقترضوا بالربا من الشركات الكبيرة لغير المسلمين التي تقوم بتوزيع المنتجات، حتى وإن كانوا قادرين مادياً ولا يحتاجونه. وضرورة التعامل مع البنوك الربوية هي إشكالية متأصلة على مستوى التجارة العالمي؛ وهي تظهر بصور مختلفة، وأقلها الضمانات البنكية.

وبهذا يتضح لنا أن الإسلام يحث على الحوار عبر الديانات والحضارات لتحقيق العدالة والسلام العالمي بين الناس، ويحث على الحوار لتأليف القلوب وتسوية الخلافات وللتعاون على البر والتقوى في أمور الدنيا، إذا تعذر تحقيق السلام في الدنيا والآخرة لجميع المخلوقات المكلفة (الجن والإنس) بسبب رفض البعض قبول آخر رسالة بعث بها الخالق إلى عباده.



بيد أن الكيس لا بد أن يدرك أن للحوار الرسمي، - ولا سيما بين رجال الدين ودعاتها - مخاطر كثيرة ومزالق كبيرة، ولا سيما إذا كان الطرف الآخر يعمل على تسخيره للحصول على الاعتراف بصحة ديانته وعلى حق ممارسة طقوسه علنا، والدعوة إلى ديانته. وهذا يقتضي الحذر ووضع خطط بعيدة المدى وبرامج تنفيذية محكمة الأهداف والمكونات. ويقتضي حسن اختيار الموضوعات، وحسن اختيار المشاركين. فنتائج الحوارات الرسمية عادة تتدرج بين إقرار بعض المبادئ أو الالتزام بتطبيقها.

وكلاهما يمكن أن يُستخدم حجة ضد المسلمين أو الدولة المسلمة، ويستغل من قبل المنافسين للإسلام أو المعادين له.



مصادر الدراسة:

- إبراهيم، عز الدين، الحوار الإسلامي المسيحي (رؤية إسلامية) في الحسن، حوار الحضارات ص ٢٢٣-٢٣٨ .
- إسماعيل، سعيد، تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات (المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر الإسلامية ١٤٢٦هـ).
- ابن تيمية، القضاء والقدر، تحقيق وشرح أحمد عبد الرحيم السايح السيد الجميلي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١١).
- ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تصحيح السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي. (القاهرة: دار الفكر ١٣٩٨).
- إسماعيل، سعيد، كشف الغيوم عن القضاء والقدر (المدينة المنورة: المؤلف ١٤١٧هـ).
- إسماعيل، سعيد، تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات ط ٣ (المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر الإسلامية، أو مكة المكرمة: ركن الدعوة ١٤٢٨هـ).
- ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد الحنبلي، قاسم العاصمي النجدي (الرياض: الجامع نفسه ١٣٩٨).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي (بيروت: المكتبة العصرية ١٤٢٤هـ).
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ط ٢ (بيروت: دار صادر ١٤١٢).
- البخاري، صحيح البخاري، تعليق وشرح أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أحمد ابن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم وتصحيح ومراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، ومحّب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧).
- ابن حميد، صالح بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام (مكة المكرمة: دار المنارة للنشر والتوزيع ١٤١٥).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح: سنن الترمذي،



- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية).
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش (القاهرة: دار الشروق ١٩٩٨).
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٩٧) أو في آفاق الإسلام، الصادرة عن الدار المتحدة للنشر العدد كانون الأول ١٩٩٨ م ص ٦٤-٨٥.
- جبور، رياض، من أجل تعاون أفضل ما بين الشعوب والأديان، البحرين: الدورة العاشرة لمؤتمر الحوار الإسلامي-المسيحي المنعقد بين ٢٨-٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢.
- حسن، عثمان علي، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد (الرياض: دار أشبيليا ١٤٢٠).
- الحلبي، أحمد بن عبد العزيز، أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية (قطر: كتاب الأمة ١٤١٧هـ).
- حيا الله، حمدي، أثر التفلسف في الفكر الإسلامي (القاهرة: مطبعة الجبلاوي ١٣٩٥/١٩٧٥).
- الخزندار، محمود محمد، فقه الائتلاف: قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف (الرياض: دار طيبة ١٤٢١هـ).
- خضر، المطران جورج، الحوار الإسلامي المسيحي في الحسن، حوار الحضارات ص ٢١٥.
- رابطة العالم الإسلامي، ندوات علمية في الرياض، والفايكان، ومجلس الكنائس العالمي في جنيف، والمجلس الأوروبي في ستراسبورغ حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي).
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، القضاء والقدر (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٠).
- زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد، الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (مكة المكرمة: دار التربية والتراث ١٤٤).



- الزين، محمد حسني، منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري (بيروت: المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ).
- السابعي، ناصر بن سليمان، أسباب الاختلاف، في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (جامعة الزيتونة ١٤٢١) ص ٢٩-٤٩.
- الشريف، كامل، حول حوار الحضارات القاهرة: المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة).
- الشنقيطي، محمد الأمين، آداب البحث والمناظرة (القاهرة: دار ابن تيمية للطباعة والنشر).
- الشيخلي، عبد القادر، أخلاقيات الحوار (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٣).
- صبحي، محي الدين، مطارحات في فن القول : محاورات مع أدباء العصر (دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٧٨).
- الصويان: أحمد بن عبد الرحمن، الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية (الرياض: دار الوطن ١٤١٣).
- صيني، سعيد إسماعيل صالح، الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين (الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٦هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، الإسلام وحوار الحضارات، مقدم مؤتمر " الحوار بين الحضارات من أجل التعايش " المنعقد في دمشق بين ١٨-٢٠ / ٥ / ٢٠٠٢ م
- صيني، سعيد إسماعيل، الأسس المشتركة للعلاقة الودية بين المسيحيين والمسلمين، مؤتمر الحوار الإسلامي - المسيحي العاشر المنعقد في البحرين بين ٢٨-٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢ م.
- صيني، سعيد إسماعيل، القواعد الإسلامية في الحوار بين الأديان، تم تقديمه في مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي وما بعد، جنيف ٢٠٠٢ م.
- صيني، سعيد إسماعيل، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، علاقة المسلمين بغير المسلمين (المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر



الإسلامية (١٤٢٦هـ).

- صيني، سعيد إسماعيل، خلق الإنسان والقضاء والقدر، المؤتمر العالمي للحضارات والفلسفة، المنعقد في مدينة سانت بيترزبورق، روسيا من ٧-١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ م. (أصل الورقة بالإنجليزية وعنوانها: (and fate Creation of Man)
- صيني، سعيد إسماعيل، الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم، مقدم للمؤتمر السنوي الثامن لرابطة العالم الإسلامي، المنعقد في الفترة بين ٥-٧ ذي الحجة ١٤٢٨ للهجرة.
- صيني، سعيد إسماعيل، مدخل إلى الرأي العام (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، إشكالية التعايش السلمي بين الثوابت والخصوصيات، مقدم في مؤتمر "نحن والآخر" المنعقد في الكويت بين ٦-٨ صفر ١٤٢٧هـ.
- عزوزي، حسن، الإسلام ومبدأ الحوار مع الآخر، في الوعي الإسلامي ذو الحجة ١٤١٨هـ ص ٥١-٥٣.
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين (- دار الريان للتراث-).
- القاضي، أحمد بن عبد الرحمن، الحوار مع أتباع الأديان الأخرى في عصر العولمة (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي المؤتمر الإسلامي الرابع ١٤٢٣هـ).
- البودي، مني إبراهيم، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤هـ).
- مجلة التوعية الإسلامية، مسك الختام: حقيقة الدعوة إلى وحدة الأديان في مجلة التوعية الإسلامية العدد: ٢١٤ رجب-شعبان-رمضان ١٤١٨هـ ص ٢١٢-٢٢٢.
- المجمع الفقهي، بيان مكة المكرمة (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ١٤٢٢/٢٠٠٢).
- الميثاق الدولي لحقوق الإنسان، المادة ٢٦: ٣؛ الاتفاقيات الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ١٣: ٣.
- الويشي، عطية فتحي، حوار الحضارات فريضة شرعية وضرورة بشرية، في القافلة العدد ربيع الآخر ١٤١٩هـ ص ١-٢.
- الوطن، مؤسسة عسير للصحافة والنشر عدد يوم الثلاثاء بتاريخ ٨/١/١٤٢٧هـ



- Encyclopedia Britannica (London: Encyclopedia Britannica, Inc
- BRITANNICA JUNIOR ENCYCLOPEDIA (LONDON: ENCYCLOPEDIA BRITANNICA, INC. 1981).
- Sieny, saeed I. the Islamic Foundation of Dialogue cross Religions, presented to Cross Religion Conference in Geneve between 16-18 October 2002.
- Sieny, Saeed E., Creation of Man and Fate, The Fifth International Congress on Philosophy and Culture, St. Petersburg, Russia, September 7-12, 2002.